١١٤

الصبر الجميل

* «يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئا».

محمد

* «يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنا عليك أكثر من هذا يا إبراهيم».

محمد

* «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلاَّ ما يرضى الرب، وإنا يا إبراهيم عليك لمحزونون!».

محمد

* «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته».

محمد

* ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة: آية ٢٣١].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

[سورة النساء: آية ١٣٥].

«المسجد النبوى بالمدينة، أواخر ربيع الثانى للسنة العاشرة للهجرة.. النبى عليه الصلاة والسلام وسط صحابته، يأتيه من يخبره وهو يلهث بأن ابنه إبراهيم من مارية القبطية قد اشتد به المرض، وأنه يُخشَى أن يتفاقم الأمر.. النبى عليه السلام يخبره قلبه، وتنبئه هيئة ولهفة القادم أنه أشفق أن ينقل إليه أن ولده يحتضر.. النبى عليه السلام ينهض لتوّه، فينهض معه صاحبه عبد الرحمن بن عوف، ليذهب بصحبته إلى حيث ابنه فى دار أمه مارية فى «نخل» «بالعالية» بأطراف المدينة..».

«النبى عليه الصلاة والسلام فى طريقه إلى العالية، ينهمر طوفان الذكريات وهو يسير مسرعًا نهبًا للقلق وتعلقًا بالرجاء.. إن هذا الطفل قد صار قرةً لعينه منذ مولده من ستة عشر شهرًا فى ذى الحجة للعام الثامن للهجرة.. فرح بمقدمه وقد امتحن فى ذريته ولم يكن قد بقى منهم حين ولد إبراهيم سوى ابنته الزهراء أم أبيها وأختها أم كلثوم.. كانت زينب قد لاقت ربها قبل مولده بعدة شهور.. ثم ما لبثت أم كلثوم أن لحقت فى شعبان للعام التالى بزينب التى كانت قد لحقت بأختها رقية التى لاقت ربها يوم بدر فى رمضان من السنة الثانية للهجرة.. ها قد لم يعد باقيًا من

ذريته من خديجة سوى فاطمة، فقد توفى ابناه القاسم وعبد الله طفلين صغيرين فى حجر أمهما خديجة.. ثم فجعه الموت فى رقية ثم زينب ثم أم كلثوم.. كان فرحه بميلاد إبراهيم مضاعفًا، فقد جاءه بعد فجيعته فى زينب بثلاثة أشهر، وبدا كفكفة لشتاء الأحزان وعناء الجهاد وقد ناف على الستين.. لقد صبر على فقد خديجة وأبى طالب، ثم على فراق بناته واحدة تلو الأخرى، فلم تصرفه شجونه وآلامه عن حمل أمانة الرسالة .. أيمتحن أيضًا بفقد إبراهيم الذى تعلق به قلبه، وقرت عينه، ودعاه إبراهيم تيمنًا باسم إبراهيم أبى الأنبياء الحنيف المسلم.. واتخذ له منذ مولده، أم بردة بنت المنذر الأنصارية لترضعه وتكون له حاضنة تتولاه.. هكذا عهدوا به عليه الصلاة والسلام فى طفولته إلى حليمة السعدية.. كانت أم بردة ترضعه وتسقيه لبن ماعز أهداه عليه السلام إليها .. كان يفرح وتتغشاه الغبطة والمسرة كلما أتيح له أن يزوره بعد الفراغ من استقبال الوفود وقيامه برسالته وأدائه لحقوق المسلمين وحقوق أسرته.. يذهب إليه من وقت لآخر تدفعه عاطفة الأبوّة العميقة الحانية، ويحمله ويتملى برؤيته، وإبراهيم ينمو أمامه وتنمو محبته له.. إنه قد بلغ الآن ستة عشر شهرًا، وصار طفلاً يغدو ويروح ويشرح صدره

مداعبته له.. إنه يزداد به شبهًا مع الأيام.. لقد زاد تعلقــه به ما مَرَّ به من أحزان، وما فقده من ذرية.. دفنهم عليه السلام بنفسه تحت الثرى، وتركوا فى نفسه أســى لا يندمل، فجاء إبراهيم ليعوضه رجاءً وأملاً، ويملؤه غبطة واستبشــارًا.. بيد أن الطفل زحف إليه المرض، فلما خيف منه علــى حياته، نقل إلى «نخل» لتمرضه أمه مارية وأختها سيرين.. هل تراه يُفْجع فى إبراهيم كما فجع من قبل فى ذريته الراحلين؟!».

«دار مارية القبطية، فى نخل بجوار العالية، يبادر عليه الصلاة والسلام فيدخل بقلب واجف موزع بين الخوف والرجاء، فيلفى إبراهيم يجود بنفســه فى حجر أمه.. لا يتمالك عليه الســلام نفسه، فيأخذ الطفل بين يديه ويضعه فى حجره والألم يعتصــره والحزن يملك عليه فؤاده، ولكنه يتماسك.. ويقول لطفله المحتضر وكأنه يسمعه..».

النبى : (محزونًــا يغالب عبراته) يا إبراهيــم إنا لا نغنى عنك من الله شيئًا..

«تنفجر لوعــة أمه مارية، وخالته ســيرين، فتنفجر دموعهما وصياحهما والنبى عليه السلام واجــم لا ينهاهما، مشــغول بطفلــه الذى يجود بروحه فى حجره وبين يديه.. تصعد روح إبراهيم إلى بارئها، ويستوى إبراهيم جثمانًا لا حراك به

ولا حياة فيه.. النبى عليه الصلاة والسلام واجم وقد أخذه جلال المـوت، وألم الفراق.. ينظر إلى طفله والدموع قد انسابت ساخنة حارة، فيحادثه وكأنه يسمعه..».

النبى : (مغالبًا عبراته) يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا، لحزنّا عليك أكثر من هذا يا إبراهيم..

«يأخذه الوجـوم والتأمل للحظات وهو مكب على ولده، ثم يستأنف يقول..».

النبى : (فى أسًى والدموع تملأ مآقيه) تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلاّ ما يرضى الرب، وإنّا يا إبراهيم عليك لمحزونون..

«النبى عليه الصلاة والسلام يلتفت إلى أم ولده مارية وخالته سيرين، وهما تبكيان أحر البكاء، فيقول لهما مواسيًا..».

النبى : (لمارية وأختها سـيرين) إن له لمرضعة فى الجنة، فهو لم يكمل رضاعته..

«أم بـردة، حاضنـة إبراهيـم، تحملـه بين شـهقات أمه وخالته، ودموع أبيه، فتقوم بغسله وتكفينـه.. وتحمله على سـرير صغـير.. الدار وقـد لحق بها مـن علم بالنبأ مـن الصحابة من المهاجريـن والأنصـار، يحيطون بالنبـى عليه السلام، ويتخذ الموكب الحزين مساره إلى مدافن المدينة بالبقيع..».

«بالبقيـــع، حيـــث ســـبق من حفـــروا وهيأوا موضعًا للدفن.. النبى عليه الصلاة والسلام يصلِّى على ولده، ويكبر أربعًا.. ويدفنه ويســـوى عليه التراب، ويـــرش عليه الماء.. ويضـــع على القبر علامة وهو يقول..».

النبى : إنهـــا لا تضـــر ولا تنفـــع ولكنهـــا تقـــر عـــين الحـــى، وإن العبـــد إذا عمـــل عمـــلاً أحـــب الله أن يتقنـــه.

النبى : (يتجـــه ببصـــره للقبر وهو يغادر محوطًـــا بالصحابة) الحق بسلفنا الصالح.

* * *

«الناس وهم لا يزالون بالبقيع، تأهبًا للعودة، تكسف الشمس ويختفى ضياؤها الباهر، فيتوقف الصحابة والمســـلمون مأخوذين بهـــذه الظاهرة، ويقولـــون لبعضهـــم إنهـــا معجزة وإن الشـــمس انكسفت لموت إبراهيم..».

«النبى عليه الســـلام يتوقف وقد تناهت إليه هذه الكلمات، وينظر إلى أصحابه، فيقول لهم..».

النبى : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله بالصلاة..

* * *

«المدينة، ولا تزال بعض المسلمات يتشكين من عسف الأزواج وتعليقهن نكاية وكيدًا.. أنصفهن

القــرآن حــين نزلــت الآيتــان ٢٢٦، ٢٢٧ من ســورة البقرة بالنهى عن تعليق الزوجة بلا طلاق رغم الانصراف عنهــا حتى لا تبنى بآخر، وبما نزلت به الآية ٢٣٠ من سورة البقرة من الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، فإن خاف الزوجان ألا يقيمــا حدود الله، فلا جناح على الزوجة أن تفتدى نفســها.. ولكن بعض الأزواج لا يعدمون الحيل للافتئات على حقوق زوجاتهم.. وإعناتهن بما لا يرضى الله.. يلجأ البعض إلى طلاق زوجته ثم يراجعهــا قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها، ثم يعود فيراجعها لا لشىء إلاَّ ليعنتها.. تشكو زوج ثابت بن يســار الأنصارى مــن أن زوجها طلقها حتــى إذا لم يبق على انقضــاء عدتها إلاَّ يومان أو ثلاثة، راجعها ثم عاد فطلقها مضارة لها..».

«وتتناقل المدينة تردى البعض فى اتخاذ آيات الله هزوًا، للعبث بحقوق زوجاتهم، فيقوم الرجل على تطليــق زوجته ثم يقول كنت لاعبًا، ويعتق عبده ثم يقول كنت لاعبًا.. ويقول الأب لمن يتقدم لزواج ابنته: زوجتك ابنتى، ثم يقول كنت لاعبًا، ويجــرى مثل هــذا الهزل على غير ســنن الحق والإنصاف، وفى خروج كريه على آيات الله !!

«النبى عليه الصلاة والسلام فى خلوته يتحنث ويتعبد ويناجى ربه، فينزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٣١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ، مشغول بأمور المسلمين، يفكر فيما كان قد تنزل عن حقوق الإناث، وماذا يكون من إقامة من يتوفى عنها زوجها بغير عقب.. كانت الآية ٢٤٠ من سورة البقرة قد تنزلت بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٠].. يومها ألزم عليه الصلاة والسلام ورثة رجل من الطائف توفى بالمدينة بأن يلتزموا بترك زوجته فى الدار مع الإنفاق عليها بالمعروف، لحول كامل رعاية لها وقيامًا بحقها.. ما لم تختر

هى الخروج بإرادتها، قبل انعدام الحول.. ولكن ما حدود ذلك، ومتى يكـون لها هذا الاختيار، هل هو بإطلاق، أم طبقًا لحدود تحد.. تدور حول ذلك تساؤلات المسلمين..

«الرسـول عليه الصلاة والسـلام فى مناجاته لربه، وتحنثه وتعبده، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلـو على محمـد) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٣٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«يتردد بين المسلمين، ما نزلت به الآية ٢٣٦ من سورة البقرة.. فقد أوصى الحق سبحانه وتعالى بمتـاع المطلقات بالمعروف، على الموسـع قدره، وعلـى المقتر قـدره»، فقالت الآية: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سـورة البقرة: آية ٢٣٦] توضح الآية الكريمة أنه لا إثم

ولا جناح فى الطــلاق بعد العقد وقبل الدخول، وتوصى بإمتاع المطلقات جبرًا لهن ودفعًا لوحشة الطلاق، وإزالة لما قد ينشــأ مــن الأحقاد.. وأن تكون هذه المتعة على قدر ســعة الرجل ورزقه.. ولكن طفق البعض يردون ذلك لمطلق ما يريدون، فيقول قائل: إنْ شئت أن أحسن فعلت، وإن لم أرد لم أفعل..

«النبى ﷺ فى تعبــده وتهجده، يتنزل عليه جبريل عليه السلام، فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلــو علــى محمــد) ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [ســورة البقــرة: الآيتــان ٢٤١، ٢٤٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، الرسول عليه الصلاة والســلام فى أصحابــه، يرتاد المســجد وفد من عشرة نفر، من قبيلة «خَوْلان».. يقصدون الرحمة المهداة، فيحيونه تحية الإسلام، ويبتدرون».

الوفد : (مبتدرين) يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله، مصدقون برسوله، ونحــن على من وراءنــا من قومنا، وركبنا فــى حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك..

النبى : (باشًّـا) أما ما ذكرتم من مسيركم إلىَّ، فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين لك فإنه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة.

(يستأنف) ما فَعَل عَمُّ أَنَس؟! (صنم كان بأرض خَوْلان).

الوفد : بِشَـرٍّ وعَرّ (العَرّ نوع مـن الجرب)! أبدلنا الله به ما جئت به، ولو قد رجعنا إليه لهدمناه..

«النبـى عليه السـلام يبش لهـم، ويأمر بمن يعلمهم القرآن والسـنن، فطفقوا يسـألونه عليه الصلاة والسـلام عن أشـياء وهو يجيبهم ويفسح لهم، فجعلوا يذكرون له ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءًا له وجزءًا لله فيما كان زعمهم..».

أحدهم : كنا نزرع الزرع فنجعل له وَسَـطَه، فنسـميه له، ونسـمى زرعًـا آخر حجزة لله، فإذا مالـت الريح فالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح فالذى سميناه لعم أنس لم نجعله لله!

«المسـلمون يتعجبون ممـا كان عليه القوم من سذاجة!».

النبى : (يتلـو عليهـم) ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٣٦].

الوفد : إنا أصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع ، ولا يدرى من عَبَدَه ممن لم يَعْبُدْه.

النبى : الحمد لله الذى هداكم وأكرمكم..

«القوم يقيمون موفورين راضين بدار الضيافة، يتلقون كل يوم نفحات من الإسلام وتعاليمه.. فلما أشرف الرحيل، ودعهم الرسول عليه السلام والمسلمون بأجمل وداع. فلما وصلوا لديارهم لم يحلوا عقدة حتى هدموا الصنم: عم أنس، الذى كانوا يتعبدون إليه، وَحَرَّموا ما حرمه عليهم الرسول والإسلام، وأحلوا ما أحله لهم..».

* * *

«المسجد النبوى، النبى ﷺ فى صحابته وقد عُرض عليه نزاع استغلق أمره بين غنى وفقير.. لا يجد عليه السلام سبيلا موثوقًا لمعرفة بواطن الأمور فى هذا النزاع، ولكن قلبه مع الفقير، تحدثه نفسه بأنه بعيد أن يظلم الفقير غنيًّا.. كيف للفقير مع فقره وضعف حاله، أن يظلم الغنى مع جاهه وقدرته؟!.. وإنه عليه السلام لفى خواطره يوشك أن يقضى للفقير، يخفق خفقة يوحى فيها إليه جبريل عليه السلام.. لا يراه ولا يحسه سواه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: آية ١٣٥].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، وقد فوجئ المسلمون بأم الحكم بنت أبى سفيان، قد ارتدت وتركت زوجها عياض ابن غنم القرشى.. وأوت إلى المشركين، فتزوجها رجل ثقفى من ثقيف.. المسلمون فى حيرة بم يستطيعون التخفيف عن زوجها الذى صدم بارتداد زوجته عن دينها، وفرارها إلى المشركين، وزواجها بآخر.. لقد درجوا حين تريد زوجة كارهة أن تفارق زوجها، أن لا جناح عليهما فيما تفتدى به نفسها.. فبذلك كانت قد تنزلت الآية ٢٢٩ من سورة البقرة، فقالت: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾.. بدا للمسلمين أن خسارة صاحبهم مضاعفة، فكيف يواسونه، وكيف يجبرون ما لحق به من

أضرار ماديـــة إلى جوار الوجيعة النفسية التى لم يخففها أنها عادت بعد ذلك إلى الإسلام..

«لقد عَنّ للبعض أن يكتبوا إلى المشـــركين: قد حكـــم الله عز وجل بيننا بأنـــه إذا جاءتكم امرأة منا أن توجّهوا إلينا (تردوا إلينا) بصداقها، وإن جاءتنا امرأة منكم وجَّهنا إليكم بصداقها»، فكتبوا إلى المسلمين: «أما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئًا، فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوه إلينا»..

«النبى عليه الســـلام وقد قرت عيناه بما يراه من تساند المسلمين بعضهم ببعض.. يقبلون على التساند والتكافل إلى جوار المواساة، وكأن السماء قد لبـــت وجيـــب قلوبهم، فمـــا إن خلا محمد عليـــه الســـلام إلى تهجده وتحنثـــه، حتى وافاه جبريل عليه الســـلام بما تقرّ به قلوب المســـلمين فـــى تراحمهم وتســـاندهم بأن يتكاتفـــوا ليعطوا من ذهبـــت زوجاتهم بمثل ما أنفقـــوا.. فيوحى الـــروح الأمـــين إلى النبى ﷺ من آيـــات ربه..».

جبريل : (يتلو علـــى محمـــد) ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الممتحنة: آية ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«الأيـــام تتوالى وتـــترى، ولا يمضى يـــوم إلاّ ويســـتقبل المســـجد النبـــوى بالمدينة وفـــودًا من القبائل لإشـــهار إسلامها والمبايعة.. جاءت وفود غســـان، ووفد غامد من حىّ مـــن أحياء اليمن، وهـــم أصحـــاب زرع وضرع. النبى عليه الســـلام يحسن اســـتقبالهم ويفرح بإســـلامهم، ويعرفهم فرائـــض الدين وبعض أوامر الشـــريعة، ويكرمهم ويجيزهم قبل أن يـــأذن لهم فى العودة موفورين إلى ديارهم.. وجاء وفد «ســـلامان» فأسلم وبايع، وأحسن الرســـول عليه السلام وفادتهم وسألهم: كيـــف البلاد عندكم، قالـــوا: مجدبة. فادع اللّه أن يســـقينا فـــى موطننا، فدعا ﷺ لهم، وســـأل اللّه تعالى أن يســـقيهم الغيث فـــى ديارهم.. فلما قـــال له أحدهم: «يا نبـــى اللّه، ارفع يديك فإنه أكثر وأطيب»، تبسَّم عليه السلام ورفع يديه فى الدعاء حتى بان بياض إبطه، فرجعوا إلى بلادهم حيث وجدوا الغيث فى استقبالهم..».

* * *

«نفر من اليهود والمنافقين يتقولون على الرحمة المهـــداة إنه تزوج فأكثر.. يتقولون ولا يســـتحون فى ذلك أى شـــىء؟!.. يقولـــون لو كان نبيًا كما يزعم لشغله أمر النبوة عن النساء.. لا يرون كيف بنى أنبياء بنى إســـرائيل بالمئات، وماذا كان من

مئـات من الزوجات عند داود وسـليمان عليهما السلام !!».

* * *

«النبى – عليه السلام – فى تعبده وتهجده، يتنزل عليه جبريل – عليه السلام، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو علـى محمد) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد: الآيتان ٣٨ – ٣٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«بحى من أحياء المدينة، وقد اجتمع سامر من الداخلين حديثًا فى الإسـلام.. يتحدث بعضهم بما لا يعرفه، ويبحث عن أسباب باطلةٍ للتيسير على أنفسهم.. يسفسطون فيما لا يعرفون!..».

أحدهم : لا يضر مع « لا إله إلاّ الله» – ذنب!

ثان : ماذا تقصد؟! هذا قول عجاب؟!

ثالث : كأنى بك تقول: لا ينفع مع الشرك العمل!

الأول : وهل ينفع مع الشـرك عمل؟!.. إن المشركين قد حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة!

الثانى : ولكنك تقول إنه لا يضير مع لا إله إلاّ الله ذنب!

الأول : فماذا تراه يبطل أعمالنا؟!

الثانى : الكبائر الموجبات والفواحش..

الأول : ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ٤٨].

رابع : وألا يعنى الغفران أنه قد وقع ذنب.. وأليست الآية تقول إنه سبحانه يغفر لمن يشاء؟..

«يطول بينهم الجدل، ويخوض الجميع فيما يعرفون وما لا يعرفون!».

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتضرع إلى الله تعالى أن يهدى أمته إلى ما يحبه ويرضاه.. يتنزل عليه جبريل – عليه السلام – فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد: آية ٣٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد جاء وفد طيئ، وفيهم زيد الخيل فارسهم وسيدهم.. قدموا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فى خمسة عشر رجلاً، فدنوا حتى

انتهوا إليه، فاستقبلهم باشًّا وعرض عليهم الإسلام فأسلموا بين تكبيرات المسلمين.. وقطع لهم عليه السلام «فيدًا» (أرض بين أسد وطيئ) وأرضين معه، وأكرم وفادتهم. النبى عليه السلام يكتب كتابًا لزيد الخيل بما أقطعه له، ويسميه «زيد الخير».. يقول عليه السلام لمن حوله: «ما ذكر رجل من العرب إلاّ رأيته دون ما ذكر لى، إلاّ زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه..».

* * *

«دار النبى عليه السلام بالمدينة.. يستأذن عليه عمر بن الخطاب فيلفاه ﷺ راقدًا على حصير من جريد، فيلحظ عمر آثار الجريد فى جنب الرسول، فلا يتمالك عمر نفسه، وتنثال عبراته..».

النبى : (متسائلاً) ما يبكيك يا عمر ؟!

عمر : (وهو يغالب عبراته) ما زلت أراك عليه يا رسول الله من خشونة عيش، فذكرت كسرى وملكه، وذكرت هرمز وملكه، وصاحب الحبشة وملكه.. (مستأنفًا وفى أسًى وحزن) وأنت رسول الله على حصير من جريد؟!

النبى : يا عمر، أما ترضى أن لهم الدنيا، ولنا الآخرة ؟!

* * *

«النبى عليه السلام فى خلوته يتعبد ويناجى ربه، يتنزل عليه جبريل عليه السلام، فيلقنه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: الآيات ٢٠ – ٢٢].

(يرتفع الوحى)

«النبى عليه السلام قرير العين بما تنزل من سورة الإنسان، المليئة بوصف الجنة وما فيها من نعم وقطوف وعيون.. إنه عليه السلام مهاجر إلى ربه، لا يعنيه من بهرج الدنيا شىء، فالدار الآخرة خير وأبقى..».